شقيق بن إبراهيم البلخي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[10]

شقيق بن إبراهيم البلخي

شقيق بن إبراهيم البلخي

يكنى أبا على.

من مشايخ خراسان.

كان زاهدًا متوكلاً.

لازم سلطان الزاهدين إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه الطريق.

هو أستاذ حاتم الأصم الزاهد.

طلب العلم:

كان شقيق بن إبراهيم صاحب مال، خرج وهو شاب حدث للتجارة في بلاد الترك إلى قوم يُقال لهم: (الخصوصية)، وهم يعبدون الأصنام، **فدخل بيت أصنامهم وعالمهم** فيه قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثيابًا حمرًا أرجوانية، فقال له شقيق بن إبراهيم البلخي:

- إن هذا الذي **أنت عليه باطل**، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالقٌ وصانعٌ ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء، رازق كل شيء.

فقال عالم الخصوصية:

- ليس يوافق قولك فعلك.

فتساءل شقيق البلخي:

- كيف ذاك؟

قال عالم الخصوصية:

- زعمت أن لك خالقًا رازقًا قادرًا على كل شيء، **وقد خرجت من بلدك متجرًا ولطلب الرزق**، ولو كان كما تقول، فإن الذي رزقك هاهنا هو الذي يرزقك فتربح العناء.

يقول شقيق بن إبراهيم البلخي:

وكان سبب زهدي كلام التركي، فرجعت إلى بلخ فتصدقت بجميع مالي **وطلبت العلم**.

طريق الزهُّاد:

كان شقيق بن إبراهيم البلخ ي شاعرً ا، فرزقه الله التوبة، وخرج من ثلاثمائة ألف درهم، ولبس الصوف الخشن حتى لقى عبد العزيز بن رواد فقال له:

- يا شقيق: ليس البيان في أكل الشعير ولا لباس الصوف الشعر.

البيان: المعرفة أن تعرف الله عز وجل، تعبده ولا تشرك به شيئًا.

والثانية: الرضا عن الله عز رجل.

والثالثة: **تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي المخلوقين**.

فقال شقيق بن إبراهيم:

- فسِّر لي هذا حتى أتَعَلَّمَه.

قال عبد العزيز بن رواد:

- أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا، يكون جميع ما تعمله لله خالصًا، من صوم أو صلاة أو حج أو غزو أو عبادة فرض أو غير ذلك من أعمال، حتى يكون لله خالصًا.

ثم تلا هذه الآية: {فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [سورة الكهف الآية: ١١٠].

قال شقيق بن إبراهيم البلخي:

- سبعة أبواب يسلك بها **طريق الزهُّاد:**

الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور، بالرضا لا بالجزع.

والصبر على العرى بالفرح لا بالحزن.

والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتعسف، كأنه طاعم ناعم.

والصبر على الذل بطيب نفس لا بالتكره.

والصبر على البؤس بالرضا لا بالسخط.

وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب.

ويكسو ظهره من أين وكيف؟

ولعل وعسى، فإذا كان في ه ذه الأبواب السبعة فقد سلك صدرً ا من طريق الزهُّاد، وذلك الفضل العظيم.

معرفة النفس:

قال شقيق البلخي:

- لو أن رجلاً أقام ما ئتي سنة **لا يعرف هذه ا لأربعة أشياء**، لم ينج من النار إن شاء الله:

أحدها: معرفة الله.

والثاني: معرفة نفسه.

والثالث: معرفة أمر الله ونهيه.

والرابع: معرفة عدو الله وعدو نفسه.

وتفسيره **معرفة الله**: أن تعرف بقلبك أنه لا يعطى غيره، ولا مانع غيره، ولا ضار غيره، ولا نافع غيره.

وأمَّا **معرفة نفسك**: أنك لا تنفع ولا تضر، ولا تستطيع شيئًا من الأشياء بخلاف النفس، وخلاف النفس أن تكون متضرعًا إليه.

وأمَّا **معرفة أمر الله تعالى ونهيه**: أن تعلم أن أمر الله عليك، وأن رزقك على الله، وأن تكون واثقًا بالرزق، مخلصًا في العمل، وعلامة الإخلاص: أن لا يكون فيك خصلتان: الطمع والجزع.

وأمَّا **معرفة عدو الله:** أن تعلم أن لك عدوًا لا يقبل الله منك شيئًا إلا بالمحاربة، والمحاربة في القلب أن تكون محاربًا مجاهدًا متعبًا للعدو.

من عمل بثلاث خصال:

قال شقيق بن إبراهيم البلخي:

- من عمل محمل بثلاث خصال أعطاه الله الجنة.

أولها: معرفة الله عز وجل بقلبه وبلسانه وسمعه وجميع جوارحه.

والثاني: **أن يكون بما في يد الله أوثق مما في يديه.**

والثالث: **يرضى بما قسم الله له**، وهو مستيقن أن الله تعالى مطلع عليه، ولا يحرك شيئًا من جوارحه إلا بإقامة الحجة عند الله، وذلك حق المعرفة.

وتفسير الثقة بالله: أن لا تسعى في طمع، ولا تتكلم في طمع، ولا ترجو دون الله سواه، ولا تخاف دون الله سواه، ولا تخشى من شيء سواه، ولا يحرك من جوارحه شيئًا دون الله - يعني في طاعته واجتناب معصيته -.

وتفسير **الرضا** على أربع خصال:

أولها: أمن من الفقر.

والثاني: حب القلة.

والثالث: **خوف الضمان.**

وتفسير الضمان: أن لا يخاف إذا وقع في يده شيء من أمر الدنيا أن يقيم حجته بين يدي الله تعالى في أخذه وعطائه على أي الوجوه كان.

تاج الزهد:

يقول شقيق البلخي:

- ثلاث خصال هي تاج الزهد:

الأولى: أن يميل **على** الهوى ولا يميل **مع** الهوى.

والثانية: ينقطع الزاهد إلى الزهد بقلبه.

والثالثة: أن يذكر كلما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره وكيف مخرجه؟

ويذكر الجوع والعطش والعرى، وطول القيامة والحساب والصراط، وطول الحساب، والفضيحة البادية، فإذا ذكر ذلك، شغله عن ذكر دار الغرور، فإذا كان ذلك كان من محبِّي الزهاد، ومن أحبهم كان معهم.

ما يبكيك:

ذات يوم، اجتاز أمير **بلدة** حاتم الأصم على باب داره، فاستسقى ماء، فجاءت بُنيَّة صغيرة بقدح ماء، فلما استسقى الأمير، رمى إليهم شيئًا من المال، فوافقه أصحابه، ففرح أهل دار حاتم الأصم، سوى البُنَيَّة الصغيرة فإنها بكت.

فقيل لها:

- ما يبكيك؟

فقالت:

- مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق - سبحانه وتعالى - ؟!

التوكل:

قال شقيق بن إبراهيم:

- التوكل أربعة:

توكل على المال.

توكل على النفس.

توكل على الناس.

توكل على الله.

وتفسير التوكل على المال: أن تقول: ما دام هذا المال في يد ي، فلا أحتاج إلى أحد.

ومن كان على هذا **فهو جاهلٌ كائنًا من كان.**

وتفسير التوكل على الله: أن تعرف أن الله تعالى خلقك وهو الذي ضَمَنَ رزقك وتكفل برزقك ولم يحوجك إلى أحد، وأنت تقول بلسانك: هو الذي يطعمني ويسقيني، فهذا التوكل على الله.

وقال تعالى: {وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ } [سورة المائدة الآية : ٢٣]، {وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ } [سورة المائدة الآية : ١١]، {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ } [سورة آل عمران الآية: ١٥٩].

وتفسير من لم يتوكل على الله يصير خارجًا من ا لإيمان، ومن لم يكن بذلك مؤمنًا فهو جاهل كائنًا من كان.

هل ستعيش إلى الليل؟

قال شقيق البلخي:

أتيت أستاذي أبي هاشم الرماني - كان ينزل قصر الرمان، واسمه يحيى بن دينار - وفي طرف كسائي شملة - كساء من صوف يتغطي به - مصرورة فقال لي:

- ما في كسائك يا شقيق؟

قلت:

- لويزات أفطر عليهن دفعهن إليَّ بعض الإخوان.

فقال أبو هاشم الرماني:

- وأنت تحدث نفسك أنك تعيش إلى الليل، والله لا كلمتك إلا أن يشاء الله.

وأغلق الباب في وجهي ودخل داره.

فقلت:

- هل ستقيم إلى الليل؟

عندما يعلم إبليس توبة آدمي:

قال شقيق البلخي:

ما من يوم إلا و يستخبر إبليس خبر كل آدمي سبع مرات، فإذا سمع خبر عبد تاب إلى الله عز وجل من ذنوبه، صاح صيحة لمجتمع إليه ذريته كلهم من المشرق والمغرب، فيقولون:

- ما لك يا سيدنا؟

فيقول زعيم أهل النار:

- قد تاب فلان ابن فلان، **فما الحيلة في فساده؟**

ويقول لهم:

- هل من قرابته أو من أصدقائه أو من جيرانه معكم **أحد؟**

فيقول بعضهم لبعض:

- نعم - وهو من شياطين الإنس -.

فيقول الرجيم لأحدهم:

- اذهب إلى قرابته وقل له: ما أشد ما أخذت فيه.

وإن لإبليس خمسة أبواب:

فتقول له قرابته:

- إنك أخذت بالشدة.

فإن أخذ بقوله، رجع فهلك، وإلا هلك الآخر.

ويقول له الآخر من قرابته:

- هذا الذي أخذت فيه لا يتم.

فإن أخذ بقوله، رجع وهلك، وإلا هلك الآخر.

ويقول له الثالث:

- كما أنت حتى تفنى ما في يديك من الحطام.

فإن أخذ بقوله، رجع وهلك، وإلا هلك الآخر.

فيأتيه الرابع، فيقول له:

- تركت العمل فلا تعمل، وأنت ليلك ونهارك في راحة لا تعمل.

فيقول له الخامس:

- جزاك الله خيرًا، تبت وأخذت في عمل الآخرة، ومن مثلك والحق في يدك.

فإذا أجابهم، فقال:

- إنك أخذت بالشدة.

يرد عليه، ويقول:

- إني كنت قبل اليوم في شدة، فأما اليوم: ففي راحة، حيث أردت أن أرضي ربي وأرضي الناس، **فمتى أرضيت ربي أسخطت الناس، ومتى ما أرضيت الناس، أسخطت ربي**، فلأخذت اليوم في رضاء ربي الواحد القهار، وتركت الناس **فصرت اليوم حرًا**، وهوَّنت عليَّ أمري، حيث أعبد ربي وحده لا شريك له.

فإذا قال:

- إنك لا تتمه.

فقل:

إنما الإتمام على الله عز وجل، وعلى أن أدخل في العمل وتمامه

على الله تعالى.

فإذا قال:

- كما أنت حتى تفنى يديك من الحطام.

فقل له:

- ففيم تخوفني رقد استيقنت أن كل شيء ليس ب قولي، فإني لا أقدر عليه، وما كان لي فلو دخلت في الأرض السابعة لدخل علي، إذا فرغت نفسي واشتغلت بعبادة ربي، ففيم تخوفني؟

فإذا قال:

- إنك لا تعمل وصرت بلا عمل.

فقل:

- إني في عمل شديد، قد استبان لي عدو في قلب ي ولن يرضى على ربي إلا أن ينكسر هذا العدو الذي في قلبي، وأكون ناصرً ا عليه في كل ما ألقى في قلبي، فأي عمل أشد من هذا؟

فإذا أجبته بهذا واستقمت في طاعة الله تعالى، يجيء إليك من قِبَل الْعجب بنفسك.

فيقول لك:

- من مثلك؟ جزاك الله خيرًا وعافاك.

فيريد أن يوقع في قلبك العجب.

فقل له:

- إذا استبان لك أن الحق هذا والصواب في هذا العمل، فما يمنعك أن تأخذ فيه إلى أن يأتيك الموت؟

فإذا أجبتهم بهذا، تفرَّقُوا عنك، ولا يكون لهم عليك سبيل.

فيأتون إبليس فيخبرونه.

فيقول لهم:

- إنه قد أصاب الطريق والهدى، فليس لكم عليه سبيل، ولكن لا يرضى بهذا حتى يدعو الناس إلى عباده الله عز وجل، فامنعوا الناس عنه، وقولوا لهم: إنه لا يحسن شيئًا فلا تختلفوا إليه.

عشرة أبواب من الزهد:

يقول شقيق بن إبراهيم البلخي:

عشرة أبواب من الزهد، يسمى الرجل فيها زاهدًا إذا فعلها، فإذا خالفها **سمى متزهدًا**، وللتزهد الذي يشبه بالزهاد في رؤيته وسمعه وخشوعه وقوله ومدخله ومخرجه ومطعمه وملبسه ومركبه، وفعله وحرصه وحب الدنيا يشهد عليه بخلافه.

ترى رضاه رضا الراغبين، وبساطه في كلامه وعجلته بساط الراغبين، وحسده وبغيه وتطاوله وكبره وفخره وسوء خلفه وجفاء لسانه وطول خوضه فيما لا يعنيه، **يدل على نفاق المتزهد**، لا على خشوع الزاهد.

فاحذر من هذه الصفة، إذا وجدت فيمن يزعم أنه زاهد هذه الخصال التي أَصِفُهَا لك.

فلوجو أن يكون له في بعض طريق الزهَّاد.

إذا سرته حسنته وساءته سيئته، وكره أن يحمد بما لم يفعل من البر.

فأما إذا لم يفعل يكرهه كما يكره لحم الخنزير والميتة والدم.

وإذا عرف هذه الخصال، صرف فيها نهاره وساعاته وليلته وساعاتها، ونقص أمله وطال همه بما أمامه.

فإذا شغل نفسه بغير ما خلق له طال حزنه، وعلم أنه مفتون وترك من شغله عن الطاعة في تلك الساعة.

فبهذا يجدون حلاوة الزهد، وبه يحترزون من حزب الشيطان.

وإن ذكر الله عندهم أحلى من العسل، وأبرد من البرد، وأشفى من الماء العذب الصاف ي عند العطشان في اليوم الصائف، وتكون مجالستهم مع من يصف لهم الزهاد ويعظهم أحب إليهم وأشهى عندهم ممن يعطيهم الدنانير والدراهم عند الحاجة، وذلك بقلوبهم لا بألسنتهم.

وأن يخلو أحدهم بالبكاء على ذنوبه وعلى الخوف الشديد أن لا يقبل منه ما يعمل، ويظهر للناس من التبسم والنشاط كأنه ذو ركبة لا ذو رهبة، وأن لا يحدث نفسه أنه خير من أحد من أهل قبلته، وأن يعرف ذنوبه ولا يعرف ذنوب غيره.

فإذا كانت فيه هذه الأبواب العشرة كان في طريق الزهّاد.

فأرجو أن يسلكه إن شاء الله.

*** وسبعة أبواب تتلو هذه الأبواب:**

التواضع لله بالقلب لا بالتصنع والخضوع للحق طوعًا لا اضطرارًا.

وحسن المعاشرة مع من ابتلى بمعاشرتهم لا لرغبة فيما عندهم.

والهرب من المنك بيّن على الدنيا كهرب الحمار من البيطار والنفور عنها - الدنيا - كنفور الحمار من زئير الأسد - السبع -.

وطلب العافية من كل ما يخاف عقابه ولا يرجو ثوابه.

ومجالسة البكائين على الذنوب، والرحمة لنفسه ولأنفسهم.

ومخاطبة العالمين بظاهره لا بقلبه.

ولا يتخوف من الكائن بعد الموت والأهوال والشدائد.

فإذا فعل ذلك سلك طريق الزهّاد، ونال أفضل العبادة.

إذا ظهر الفساد في البر والبحر:

قال شقيق البلخي:

إذا ظهر الفساد في البر والبحر لا يكون شيء أغرب من هذه الأربعة:

التزويج للغربة.

والبيت للعدة.

والضيافة بالسنة.

والجهاد بلا طمع ولا رياء.

أما تفسير **التزويج للغربة**: رجل يخاف أن يقع في الحرام فيتزوج.

وتفسير البيت للعدة: أن تبنى بيتًا يمنعكم من الحر والبرد، ولا تضرب وتدًا على البيت حتى تنظر قبل الضرب، فيكون الله تعالى رضى، كذلك جميع الأشياء ما كان لله تعالى رضى فتقدم عليه وإلا فاحذره.

وتفسير **الضيافة بالسنة**: لا تدخل بيتك رجلاً يستحي من الحلال ويحتشم منه، فيكون في بيتك خبز مكسور فاستحييت من الرجل أن تقدمه إليه.

وقد جاء في الأثر:

من لا يستحي من الحلال خفت مؤنته وقل كبرياؤه، ومن يستحي من الحلال فهو متكبر.

نصيحة عالم لحاكم:

ذات يوم، دخل شقيق بن إبراهيم البلخي على أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال له:

- أنت شقيق الزاهد؟

فقال شقيق البلخي:

- أنا شقيق ولست بزاهد.

فقال هارون الرشيد:

- أوصني.

فقال شقيق بن إبراهيم البلخي:

إن الله تعالى قد أجلسك مكان الصديق - أبو بكر بن أبي قحافة الخليفة الأول - وأنه **يطلب منك مثل صدقه،** وأنه أقعدك موضع عمر بن الخطاب الفاروق، **وأنه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل،** وأنه أقعدك موضع عثمان بن عفان ذي النورين، وهو **يطلب منك مثل حيائه وكرمه،** وأعطاك موضع على بن أبي طالب، وهو يطلب منك **العلم والعدل كما طلب منه.**

فقال هارون الرشيد:

- زدني من وصيتك.

قال شقيق البلخي:

- نعم، اعلم أن لله تعالى دارًا تُعرف بجهنم، وإنه قد جعلك بوابًا عليها، وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال، والسوط، والسيف وأمرك أن تمنع الناس - الخلق - عن دخول النار بهده الثلاثة، فمن جاءك محتاجًا فلا تمنعه عن بيت المال، ومن خالف أمر ربه ف أدبه بالسوط، ومن قتل نفسًا بغير حق فاقتله بالسيف بإذن ولي المقتول، فإن لم تفعل ما أمرك **فلأنت الزعيم لأهل النار، والتقدم إلى دار البوار.**

فقال أمير المؤمنين هارون الرشيد:

- زدني.

قال أبو على:

- إنما مثلك كمثل معين الماء، وسا ئر العلماء في العالم كمثل الساقي، فإذا كان المعين صافيًا لا يضر كدر الساقي، وإذا كان المعين

كدرًا لا ينفع صفاء الساقي.

ثمان مسائل مضيئة:

ذات ضحى سأل أبو على تلميذه حاتم الأصم:

- قد صحبتني مدة فما تعلَّمت؟

قال حاتم الأصم:

ثمان مسائل:

أما الأولى: فإني نظرت إلى الخلق فإذا كل شخص له محبوب، فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه، **فجعلت محبوبي حسناتي** لتكون معي في القبر.

وأما الثانية: فإني نظرت إلى قوله تعالى: {وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} [سورة النازعات الآية: ٤٠]، فلجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

وأمَّا الثالثة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قوله تعالى: { مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ } [سورة النحل الآية: ٩٦]، فكلما وقع في يدي شيء له قيمة، وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظًا.

وأمَّا الرابعة: فإني رأيت الناس يرجون إلى المال والحسب والشرف، وليست بشيء، فنظرت إلى قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [سورة الحجرات الآية: ١٣]، **فعمدت في التقوى ، لأكون عند الله كريمًا**.

وأمَّا الخامسة: فإني رأيت الناس يتحاسدون فنظرت في قوله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ} [سورة الزخرف الآية: ٣٢]، فتركت الحسد.

وأمَّا السادسة: رأيتهم يتعادون فنظرت في قوله تعالى: { إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [سورة فاطر الآية: ٦]، **فتركت عداوتهم**

واتخذت الشيطان وحده عدوًا.

وأمَّا السابعة: رأيتهم يبذلون أنفسهم في طلب الرزق، فنظرت في قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا} [سورة هود الآية : ٦]، فاشتغلت بما له عليَّ وتركت مالي عنده.

وأمَّا الثامنة: رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصناعهم وصحة أبدانهم، **فتوكلت على الله تعالى.**

لكل شيء حسن:

قال شقيق بن إبراهيم:

لكل شيء حُسْن، وحُسْن الطاعة أربعة أشياء:

إذا رأى العبد نفسه في طاعة فليقل لنفسه:

- هذه طيبة من الله وهو الذي منَّ بها عليَّ.

وإذا علم ذلك كسر العجب، ويكون قلبه معلقًا بالثواب، فإذا علّق قلبه بالثواب، كثر الرياء؛ لأنه عمل ليثاب عليه، فإذا وسوس له الشيطان، يقول:

- إنَّما أعمل لثواب أنتظره من الله تعالى.

فعند ذلك يغلب الشيطان بإذن الله.

فإذا عمله وهو يريد الثواب من الله عز وجل، فقد كسر الطمع من الناس والمحمدة والثناء.

وتفسير الطمع: نسيان الرب، إذا نسى الله طمع في الخلق، فهو في وقته ذلك عاقل إلا أن يكون رجلاً يتلقى الأشياء من ربه، وأراد بمسألته أن يؤجر الآخرة.

وقال:

- انظر إذا أصبحت، فلا يكون همَّك في طلب رضى الخلق

وسخطهم، ولا يكون خوفك إلا ما قدمت من الذنوب، حتى لا تجترئ أن تزيد عليه غيره، ولا يكونن ا ستعدادك إلا للموت، فإذا كان استعدادك للموت لو جعلت لك الدنيا بحذافيرها لم ترغب فيها.

أحسن ظنك بربك:

خرج شقيق بن إبراهيم البلخيّ حا جًّا في سنة تسع وأربعين ومائتين من الهجر ة، فنزل القادسية، فبينما هو ينظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم، نظر إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة، يعلو فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفردًا، فقال شقيق بن إبراهيم في نفسه:

- هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون ك لاًّ على الناس في طريقهم، والله لأمضين إليه لأوبخنه.

يقول شقيق بن إبراهيم:

فدنوت - اقتربت - منه، فلما رآني مقبلاً، قال:

يا شقيق{ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ } [سورة الحجرات الآية: ١٢].

ثم تركني ومضى.

فقلت في نفسي:

- إن هذا الأمر عظيم، **قد تكلَّم على ما في نفسي ونطق باسم ي**، وما هذا إلا عبد صالح لألحقنَّه ولأسألنَّه أن يحالني.

وأسرع شقيق بن إبراهيم البلخي في أثره، فلم يلحقه وغاب عن عينيه.

ولما نزلوا واقصة - ماء لبنى كليب، من عمل المدينة - إذا به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري.

فقال شقيق بن إبراهيم:

- هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله.

فصبر شقيق البلخي حتى جلس وأقبل نحوه، فلما رآه مقبلاً، قال:

- يا شقيق: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ } [سورة طه الآية: ٨٢].

ثم تركني ومضى.

فقال شقيق بن إبراهيم:

- إن هذا الفتى لمن **الأبدال** - قوم من الصالحين لا تخلوا الدنيا منهم، فإذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر -، رقد تلك اللَّمة على سرّي مرتين.

فلما نزلوا رملاً إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة - إناء يستخدم للشرب والوضوء - يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وشقيق البلخي ينظر إليه، فرآه ينظر إلى السماء، وسَمِعَهُ يقول:

أنت ربي إذا ظمئت من الما ... ء وَقُوتِي إذا أردت الطعاما

اللهم سيدي، مالي سواها فلا تعدمنيها.

يقول شقيق بن إبراهيم البلخي:

- فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد يده فأخذ الركوة وملأها ماءً وتوضأ وصلى أربع ركعات.

ثم مال الفتى إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة، ويحركه ويشرب فأقبل شقيق إليه وسلَّم عليه فرد عليه السلام، فقال شقيق البلخي:

- أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك.

فقال الفتى:

- يا شقيق: لم تزل نعمة الله ظاهرة وباطنة فلْحسن ظنك بربك.

ثم ناوله الركوة فشرب شقيق منها فإذا **سويق** - ما يُتخذ من الحنطة والشعير - وسكر.

يقول شقيق بن إبراهيم:

- فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب ريحًا منه، فشبعت وروِيت فلَقمت أيامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا.

لم ير شقيق الفتى حتى دخلوا مكة، رآه ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلى بخشوع وأنين وبكاء، ولم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت أسبوعًا - أي سبع طوفات -.

وخرج الفتى فتبعه شقيق بن إبراهيم البلخي فإذا له حاشية - أتباع - وموال وهو على خلاف ما رآه شقيق في الطريق.

ودار بالفتى الناس من حوله يسلمون عليه، فقال شقيق لبعض من رآه يقرب من الفتى:

- من هذا الفتى؟

قال:

- هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب.

فقال شقيق بن إبراهيم البلخي:

- قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السري.

امرأة سيئة الخلق:

كان لشقيق بن إبراهيم البلخي امرأه سيئة الْخُلُق فقيل له:

- ألا تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها؟

قال أبو على:

- إن كانت سريئة الخلق وأنا حسن الخلق، ولو فارقتها صرت مثلها، ومع هذا أخاف ألا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها.

وصيتان لشقيق بن إبراهيم البلخي:

كان لشقيق بن إبراهيم وصيتان **إذا جاءه رجل من العرب يوصيه** بالعربية:

توحد الله بقلبك ولسانك وشفتيك، وأن تكون بالله أوثق مما في يديك، وأن ترضى عن الله.

وإذا جاءه أعجمي قال:

احفظ مني ثلاث خصال:

أول خصلة: أن تحفظ الحق، وأن يكون الحق إلا بالإجماع، فإذا اجتمع الناس فقالوا:

- إن هذا الحق يعمل ذلك الحق يريد الثواب من ا لإياس من الخلق.

ولا يكون الباطل باطلاً إلا بالإجماع.

فإذا اجتمع الناس، قالوا:

- إن هذا باطل تركت هذا الباطل خوفًا من الله تعالى مع ا لإياس من المخلوقين، فإذا كنت تعلم هذا الشيء حق هو أم باطل، فينبغي لك أن تقف حتى تعلم هذا الشيء حق أو باطل، فإنه حرام عليك أن تدخل في شيء من الأشياء إلا أن يكون معك بيان ذلك الشيء وعلمه.

إني لأستحي من ذوي العرش:

يقول شقيق البلخي:

خرجنا في غزاة لنا في ليلة مخوفة، فإذا رجل نا ئم فأيقظناه وقلنا

له:

تنام في مثل هذا المكان؟

فرفع الرجل رأسه وقال:

- إني لأستحي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئًا دونه.

ثم ضرب برأسه فنام.

السحاب:

ذات يوم، كان شقيق بن إبراهيم في زرع له ؛ إذ أقبلت سحابة ترهيأ - تتهيَّأ للمطر - فسمع رجل كان يسير على مقربة من زرع أبي علي - شقيق بن إبراهيم - فيها صوتًا:

- أمطري زرع فلان - شقيق بن إبراهيم -.

فلتفى شقيق بن إبراهيم الرجل وسأله:

- ما تصنع بزرعك؟

قال الرجل:

- أبذر ثلثه، وآكل ثلثه، وأتصدق بثلثه.

كيف يعتذر المقصر؟

رأى شقيق بن إبراهيم البلخي ذات ضحى في بعض الجبال شابًا أصفر اللون غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يستقر على الأرض كأن به وخز الأسنة - الرماح - ودموعه تنحدر على خديه فقال له:

- من أنت؟

قال الشاب:

- آبق - هارب - من مولاه.

- قال شقيق بن إبراهيم:

- فتعود وتعتذر.

قال الشاب:

- العذر يحتاج إلى إقامة حُجَّة، فكيف يعتذر المقصِّر ؟

قال شقيق البلخي:

- تتعلق بمن يشفع فيك.

قال الشاب:

- كل الشفعاء يخافون منه.

فتساءل شقيق بن إبراهيم:

- فمن هو؟

قال الشاب:

- مولاي رباني صغيرًا فعصيته كبيرًا، شرط لي فوفاني، وضمن لي فأعطاني، فخنته في ضماني، وعصيته وهو يران ي، فواحياي من حسن صنعه وقبيح فعلي.

قال أبو على:

- أين هذا المولى؟

قال الشاب: أين توجهت لقيت أعوانه، وأين است قرت قدمك ففي داره.

فقال شقيق البلخي:

- أرفق بنفسك، فربما أحرقك هذا الخوف.

قال الشاب:

- الحريق بنار خوفه - لعله يرضى - **أحق وأولى.**

ثم أنشأ يقول:

لم يبق خوفك لي دمعًا ولا :: لاشك أني بهذا ميت كمدا
جلدً ا : ونار ه تحرق الأحشاء والكبدا
عبد كئيب أتى بالعجز معترفًا :: فهب له منك لطفا إن لقيك غدا

ضاقت مساكنه في الأرض من : وج ل ::

فقال أبو على:

- يا غلام: الأمر أسهل مما تظن.

قال الشاب:

- هذا من فتنة البطالين، هبه تجاو ز وعفا، أين آثار ا لإخلاص والصفاء؟

ثم صاح صيحة، فخرجت عجوز من كهف الجبل عليها ثياب رثَّة فتساءلت:

- من أعان على البائس الحيران؟

فقال شقيق بن إبراهيم:

- يا أمة الله: دعوته إلى الرجاء؟

قالت العجوز:

- دعوته إلى ذلك، فقال: الرجاء بلا صفاء شرك.

فتساءل أبو على:

- من أنت منه؟

قالت العجوز:

- والدته.

قال شقيق بن إبراهيم:

- أقيم عندك أعينك عليه؟

قالت الأم:

- خله ذليلاً بين يدي قاتله عساه يراه بعين معين فيرحمه.

يقول أبو على:

- فلم أدر مماذا أعجب؟ من صدق الغلام في خوفه، أو من قول العجوز وصدقها؟

اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم:

ذات يوم، كان شقيق بن إبراهيم البلخيّ وجماعة من أصحابه، عند إبراهيم بن أدهم؛ إذ مرَّ به رجل، فقال إبراهيم بن أدهم:

- أليس هذا فلان؟

فقيل:

- نعم.

فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق البلخي:

- أدركه فقل له: قال لك إبراهيم: لِمَ لَمْ تُسلم؟

فقال الرجل:

- والله إنَّ امرأتي وضعت ولي س عندي شيء فخرجت شبه المجنون.

خرج أبو على إلى إبراهيم بن أدهم وأخبره فقال إبراهيم بن أدهم:

- إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر؟!

ثم قال لأبي علىّ:

- إئت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين، فا دْخل السوق فاشتر له ما يصلحه بدينار وادفع الدينار الآخر إليه.

فلما استلف شقيق الدينارين دخل السوق ف أوقر - أوقر الدابة: حملها حملا ثقيلاً - بدينار من كل شيء، وتوجه إلى دار الرجل فدقَّ الباب فقالت امرأته:

- مَنْ هَذَا؟

قال أبو علىّ:

- أنا شقيق البلخي أردتُ فلانًا.

قالت امرأته:

- ليس هو هاهنا.

قال أبو علىّ:

- فمري بفتح الباب وتنحِّى.

ففتحت الباب فادخل شقيق ما على البعير وألقاه في صحن الدار وناولها الدينار.

فقالت المرأة:

- على يدي من هذا؟

قال شقيق البلخي:

- قولي على يد أخيك إبراهيم بن أدهم.

فقالت المرأة، وهي ترفع كفيها إلى السماء:

- اللهم لا تنسى هذا اليوم لإبراهيم.

يقول شقيق البلخيّ:

قال إبراهيم بن أدهم:

أقرب الزهَّاد من الله - عز وجلّ -، أشدهم خوفًا وأحبّ الزهَّاد إلى الله أحسنهم عملاً وأفضل الز ه اد عند الله أعظمهم فيما عنده ر غبةً وكرم الز ةَّ اد عليه أتقاهم له و أتمّ الزهَّاد زهدً ا وأسخاهم نفسًا، وأسلمهم صدرً ا وأكمل الز ةَّ اد زهدً ا أكثرهم يقينًا.

المؤمن والمنافق:

قال أبو على:

مَثَلُ المؤمنِ كَمَثَلِ رجل غرس نخلة **وهو يخاف أن يحمل شوكًا** ، ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكًا **وهو يطمع أن يحصد تمرً ا، هيهات هيهات، كل من عمل حسنًا، فإنَّ الله لا يجزيه إلا حسنًا، ولا تنزل الأبرار منازل الفجَّار.**

شقيق بن إبراهيم البلخيّ والقرآن:

قال شقيق بن إبراهيم البلخي:

عملت في القرآن عشرين سنة حتى م يِّرت الدنيا من الآخرة، **فلصبته في حرفين،** وهو قوله تعالى: {وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ} [سورة القصص الآية: ٦٠].

سأل رجل أبا على في تفسير { ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢} [سورة الفاتحة الآية: ٢].

فقال:

هو على ثلاثة أوجه:

أولها: إذا أعطاك الله شيئًا **تعرف من أعطاك.**

والثاني: أن ترضى **بما أعطاك.**

والثالث: ما دامت قوته في جسدك ألا تعصيه.

فهذه شرائط الحمد.

وسئل شقيق بن إبراهيم عن قوله تعالى: {فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ} [سورة فصلت الآية: ١٦].

{صَرۡصَرٗا}: شديدة السموم أو البرد أو الصوت.

{فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ}: مشئومات أو ذوات غبار وتراب.

وكان أبو علي إذا قرأ: { وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا} [سورة الدخان الآية: ٢٤].

قال:

اترك البحر ساكنًا أو منفرجًا.

وسأل رجل أبا علي عن قوله تعالى:{ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾} [سورة النجم الآية: ٣٤].

قال:

{وَأَكۡدَىٰٓ}: قطع عطيته بُخْلاً.

وسئل شقيق بن علي عن قوله تعالى عن: {أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ} [سورة النجم الآية: ٥٠].

قال:

قوم هود عليه السلام.

وكان شقيق بن إبراهيم إذا قرأ: {وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ } [سورة القمر الآية: ٥٠].

قال:

كلمة واحدة هي **(كن)**.

وسأل رجل أبا علي عن قوله تعالى: {لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا} [سورة الواقعة الآية: ٧٠].

قال:

جعلناه ملحًا زعافًا أو مُرًا لا يمكن شربه.

وسئل أبو علي عن قوله تعالى:{فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ} [سورة القمر الآية: ٢٩].

قال:

فتناول الناقة - ناقة صالح عليه السلام - بسيفه اجتراء منه.

وسأل رجل شقيق بن إبراهيم عن قوله تعالى: {وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ} [سورة ص الآية: ٢٣].

قال:

غلبني وقهرني في الحاجة.

فقال الرجل:

{قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ } [سورة ص الآية: ٥٢].

قال:

{قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ }: حور **لا ينظرن إلى غير أزواجهن.**

{أَتۡرَابٌ }: مستويات في الشباب.

وسئل أبو علي عن قوله تعالى:{يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ} [سورة غافر الآية: ٣٢].

قال:

يوم القيامة **والتناد فيه إلى الحشر.**

وكان شقيق بن إبراهيم إذا قرأ: {وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } [سورة غافر الآية: ٣٧].

قال:

{تَبَابٍ }: خراب وهلاك.

أبو على وأحاديث رسول الله صلىالله عليه وسلم

روى شقيق البلخي عن خلق كثير من التابعين وأعلامهم، وقد **أسند إليه** بعض أحاديث السراج المنير ﷺ، منها:

لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوض أ منه - (رواه عبد الرزاق، وأبو نعيم في الحلية، عن أبى هريرة).

ويقول شقيق البلخ يّ، عن إسرا يل بن يونس، عن ثور بن أبي فاختة عن أمه: أن الوليد بن ع قبة **نقص التكبير** فقال عبد الله بن مسعود:

نقصوها نقصهم الله، لقد رأيت رسول الله ﷺ يكبر كلما ركع، وكلما سجد، وكلما رفع -.

وقال شقيق بن إبراهيم، عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ : **لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من الخمس - الصلوات المفروضة - إلى الخمس، من الشك إلى اليقين، ومن الكِبْرِ إلى التواضع، ومن العداو ة إلى النصيحة، ومن الرياء إلى ا لإخلاص، ومن الر غبة إلى الز هّ د** - (رواه أبو نعيم في الحلية، وابن عس الكو، عن جابر، وفيه عباد بن كثير الثقفي، متروك).

وقال شقيق بن إبراهيم، عن إسرائيل بن ثور، عن عبد الله بن الزبير:

إن رسول الله ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء -.

وقال شقيق البلخيّ، عن أبي هاشم الأيلي عن إنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ : **يا ابن آدم لا تزال قدمك يوم القيامة بين يد ي الله حتى تُسأ ل عن أر بعة: عن ع مرك فيما أفني ته، وعن جسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته، وأين أنفقته؟** - (رواه أبر نعيم في الحلية).

من أقوال شقيق بن إبراهيم البلخي:

قال أبو على:

- مَيْزٌ بين ما تَعْطِي وتُعْطَى، إن كان من يعطِي أحب إليك، **فأنت محب للدنيا**، وإن كان من تعطيه أحب إليك **فأنت محب للآخرة**.

- من أراد أن يعرف معرفته بالله، فلينظر إلى ما وعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق؟.

- استتمام صلاح عمل العبد بست خصال: تضرع دائم، وخوف من وعيده، والثان ي: حسن ظنه بالمسلمين. والثالث:

اشتغاله بعيبه لا يتفرغ لعيوب الناس. والرابع: يستر على أخيه عيبه ولا يفشي في الناس عيبه رجاء رجوعه عن المعصية، واستصلاح ما أفسده من قبل. وال خامسة: ما اطلع عليه من خسة عملها استعظمها رجاء أن يرغب في الاستزاد ة منها. والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيب.

- على قلب ابن آدم أربعة حُجُبٌ: إذا أيسر لم يفرح وإن افتقر لم يحزن وكان في ا لأمرين سواء، فقد هتك سترين، فعند هذا لا يستقر الخير والحكمة في قلبه حتى يكون فيه خصلتان: يترك فضول الكلام فإن كان كذلك دخلت قلبه الحكمة ونطق بها لسانه.

- أربعة أشياء قد سترت على العباد أمر ا لآخره: خوف الفقر ستر خوف جهنم، وأ ي شيء يقول لي الناس ستر عنه، أي شيء؟ يقول لي الرب إذا فعلت هذا، وستر ح بّ الحياة الدنيا حب الآخرة، وس تر حب نعمة الحيا ة الدنيا وغرورها وشهواتها وظاهرها ما ترى من حسنها عن نعيم الآخرة، وما أعد له فيها.

- من خرج من النعمة، ووقع في القلة فلا تكون القلة أعظم عنده من النعمة فهو في غمين : غَمٌّ في الدنيا، وغمٌّ في الآخرة. ومن خرج من النعمة ووقع في القلة، وكانت ال قلة أعظم عنده من النعمة التي خرج منها. **كان في فرحين: فرح الدنيا، وفرح الآخرة.**

- من دار حول **العلو** ، فإنَّما يدور حول النار، ومن دار حول الشهوات فإنَّما يدور حول الجنة ليأكلها ويرقصها في الدنيا.

- ليس شيء أحب إليَّ من الضيف لأن ر زقه وم ؤنته على الله وأجره على الله.

- اتقِّ الأغنياء، فإنك متى ما ع قدت قلبك معهم وطمعت فيهم، فقد، اتخذتم ربًّمن دون الله عز وجل.

- لا تكونن ممن يجمع بحرص، ويحسبه بشك، ويخلفه على الأعداء وينفقه في الرياء، فيؤخذ في الحساب، ويعاقب عليه إن لم يعف الله عز وجل.

- متى أغفل العبد قلبه عن الله والتفكر في صنعه وم نته عليه ثم مات عاصيًا؟ لأنَّ العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبدً ا مع الله، يقول: يا **رب أعطني الإيمان وعافن ي من البلاء، واستر لي من عيوبي وارزقني واجعل نعمتك متوالية عليَّ، فهو أبدً ا متفكر في نعم الله عليه، فالتفكر في منة الله شكر، والغفلة عنها سهو.**

وفلة شقيق بن إبراهيم البلخي:

مات أبو على بعد أن تص دَّق بجميع ما يملك، ومالت نفسه إلى الزهد والتصوف وتفرغ للعلم.

* * *